

2014

سياسة بريطانيا ومصر تجاه السودان 1956-1952

أ.م.د. حسان ريسان خلف
الجامعة العراقية /كلية الآداب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad>



Part of the [Arts and Humanities Commons](#), and the [Law Commons](#)

Recommended Citation

1956-1952 "سياسة بريطانيا ومصر تجاه السودان (2014) خلف, أ.م.د. حسان ريسان" *Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal*: Vol. 9: Iss. 1, Article 11.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad/vol9/iss1/11>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

شهدت قضية السودان تدخلاً واضحاً من قبل بريطانيا ومصر قبل اندلاع ثورة يوليو/ تموز 1952 وبعدها , وكان كل طرف يحاول تحقيق أهدافه السياسية على حساب رغبة السودانيين في تقرير مصير بلادهم, فكانت مصر ترغب أن يكون السودان جزءاً لا يتجزأ من مصر, أما بريطانيا فكانت تدعم التيار الذي يدعو إلى الانفصال عن مصر, وهذا الموقف الأخير لا ينم عن موقف بريطانيا المساند لقضية السودان بقدر تعلق الأمر بأن بريطانيا ضد فكرة أي مشروع وحدوي في المنطقة لأن هذا الأمر يتعارض مع تحقيق مصالحها الاستعمارية في المنطقة, ولهذا تمكنت بريطانيا في نهاية المطاف أقناع حتى التيار الذي كان يدعو إلى الوحدة مصر باتجاه الانفصال حتى أعلن إسماعيل الأزهري عام 1955 صراحةً أمام مؤتمر باندونغ برغبة السودان في الاستقلال عن مصر, ولهذا فقد شعرت مصر بالإحراج أمام المجتمع الدولي مما اضطرها إلى الرضوخ إلى إرادة السودانيين ورغبتهم في الاستقلال عن مصر والذي تحقق في كانون الثاني عام 1956 , على الرغم من أن رغبة الحكومة المصرية كانت تسير قبل هذا باتجاه تحقيق فكرة وحدة وادي النيل.

Saw the issue of Sudan clearly an intervention by Britain and Egypt before the outbreak of the revolution in July 1952 and thereafter, and each party is trying to achieve its political objectives at the expense of the desire of the Sudanese decide the fate of their country, Egypt was like to be a Sudan is an integral part of Egypt, but Britain was supporting power, which calls for secession from Egypt, and this latter position does not reflect the

position of Britain cushions to the issue of Sudan as far as that Britain against the idea of any project and unitary in the region because this is contrary to their interests colonial in the region, but this has managed Britain eventually convince even current that was calling for unity Egypt toward secession even announced Ismail al-Azhari in 1955 explicitly to the Bandung Conference desire Sudan in independence from Egypt, but this felt Egypt embarrassed in front of the international community, forcing it to bow to the will of the Sudanese and their desire for independence from Egypt and the check in December the second in 1956, despite the fact that the desire of the Egyptian government was moving towards achieving this before the idea of the unity of the Nile Valley.

المقدمة

تناولت الدراسات التاريخية جوانباً مهمة من تاريخ السودان السياسي الحديث والمعاصر، وناقشت حلقات مهمة في تاريخ هذا البلد، وجاءت لتكون مكملة لتلك الدراسات لاسيما وأنها سلطت الضوء على فترة مهمة في تاريخ السودان الممتدة ما بين عامي 1952-1956 والتي اشتد فيها التنافس بين مصر وبريطانيا لتقرير مستقبل السودان السياسي. يتألف الموضوع من بحثين، تناول البحث الأول ثورة 23 يوليو/ تموز 1952م وانعكاسها على مستقبل السودان السياسي، وكذلك المباحثات بين مصر وبريطانيا حول السودان حتى عام 1952، أما البحث الثاني فقد سلط الضوء على المفاوضات المصرية-البريطانية للفترة ما بين عامي 1953-1956، والتي تضمنت توقيع اتفاقية الحكم الذاتي عام 1953، ومؤتمر باندونغ عام 1955، الذي نقل قضية السودان إلى المجتمع الدولي وتواصلت الدراسة حتى نيل السودان استقلاله عام 1956. هذا ويأمل الباحث أن تسهم في إفادة الباحثين والمهتمين بمعلومات هامة عن تاريخ السودان السياسي، ومن الله التوفيق.

المبحث الأول

ثورة 23 يوليو / تموز 1952 وانعكاسها على مستقبل السودان السياسي

- موقف الثورة المصرية من قضية السودان:

نجح تنظيم الضباط الأحرار⁽¹⁾ في قيام ثورة 23 يوليو/ تموز 1952 في مصر لتبدأ صفحة جديدة، ليس في تاريخ مصر السياسي فحسب بل في المنطقة العربية برمتها، إذ تعد أول ثورة عربية تشهدها المنطقة في النصف الثاني من القرن العشرين قد أطاحت بنظام الحكم وقد استبشرت القوى السياسية السودانية خيراً بنتائج هذه الثورة على مستقبل السودان السياسي الذي بقى مصيره معلقاً بدون حسم طيلة فترة الحكم الملكي وذلك لرغبة الحكومة الملكية في مصر بضم السودان وتحقيق وحدة وادي النيل⁽²⁾.

جاءت الثورة لتضع حداً للانتظار الذي ألقى بأعبائه على قادة السودان بعد أن أصبح لمصر حكومة ثورية سعت لوضع الحلول للمشاكل العالقة في الداخل والخارج، ولهذا أعرب السودانيون عن فرحتهم لاندلاع الثورة⁽³⁾، التي أزالَت عقبة كبيرة أمام المتفاوضين بشأن مستقبل السودان السياسي ألا وهي مسألة لقب ملك مصر والسودان الذي تمسكت به الحكومة الملكية، ويُعد هذا الأمر انفراجاً بعد أن أصبح الطريق ممهداً للتوصل إلى تقرير مصير السودانيين⁽⁴⁾.

أظهر السودانيون تعاطفهم مع قائد الثورة اللواء محمد نجيب⁽⁵⁾ لأن والدته سودانية، كما أنه مولود في السودان، وعاش ودرس فيه، ومما جاء في تصريحه بشأن قضية السودان: "إنه قد بدا لي بعد التخلص من ملك

(1) تعود بداية تشكيل هذا التنظيم إلى عام 1938، وبدأ يمارس نشاطه السياسي السري في أواخر عام 1945، وكان معارضاً لسياسة الملك فاروق والوجود البريطاني في مصر، وأبرز أعضاء التنظيم: اللواء محمد نجيب، المقدم عبد اللطيف البغدادي، المقدم جمال عبد الناصر، المقدم أنور السادات والرائد صلاح سالم وآخرون. للتفاصيل، ينظر: احمد حمروش، قصة 23 يوليو، ج1، مطبعة المتوسط، بيروت، 1974م، ص 193-195.

(2) جميل الياس عفارة، مشاكل السودان والدوافع البارزة وراء الانقلاب العسكري الأخير، شركة الطبع والنشر اللبنانية، بيروت، 1985، ص103؛ للتفاصيل ينظر: محمد عصام المرشدي، الثورة العربية وأثارها في تطور الشعب ونهضته، دار المعارف، القاهرة، 1958م، ص96-97.

(3) جميل الياس عفارة، المصدر السابق، ص103-104.

(4) انطوني ايدن، مذكراته، ج1، ترجمة: خيرى حماد، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص346.

(5) مدثر عبد الرحيم، الإمبريالية والقومية في السودان - دراسته للتطور الدستوري والسياسي 1899-1956، دار النهار للنشر، بيروت، 1971، ص142.

غير محبوب في السودان كما كان كذلك في مصر، إننا نستطيع التغلب على بريطانيا في لعبتها مجرد مواجهتنا خدعتهم" (1).

عرضت قضية السودان أمام مجلس قيادة الثورة المصري لأول مرة في منتصف آب سنة 1952، وبعد أن ناقش المجلس القضية بكافة تفاصيلها رأى بأن أمام مصر خيارين لا ثالث لهما، أما أن تستمر في سياستها السلبيه السابقة وتعارض مشروع الدستور (2)، الذي اقترحه الحكومة البريطانية، أو اتباع الخيار الثاني الذي ينحصر في تركيز الجهود المصرية لتعديل مشروع الدستور ليعطي أكبر قسط من الصلاحيات للشعب السوداني وحكومته، والإصرار على خروج البريطانيين من السودان في السرعة الممكنة (3)، كي يقرر الشعب مصيره بمحض إرادته، فإن قرر الوحدة مع مصر فسيجد هذا القرار ترحيباً من قبلها، وإن قرر الاستقلال تكون مصر قد حققت نجاحاً لها بكسبها سوداناً مستقلاً عن المستعمرين البريطانيين، وقد فضل مجلس قيادة الثورة الخيار الثاني (4).

نرى أن موقف مجلس قيادة الثورة من تقرير مصير السودان يُعد نقطة تحول جوهريّة في تاريخ العلاقة بين الجانبين، فكان الخطاب المصري صريحاً وواضحاً وهذا لم نشهده في عهد ما قبل الثورة الذي كان يتطلع دائماً إلى الوحدة ولا يترك خياراً آخر للشعب السوداني.

- المباحثات المصرية- البريطانية حول السودان:

اجتمع السفير البريطاني في القاهرة السير رالف ستيفنسون (Ralef. Stevenson) في 24 أيلول 1952، مع اللواء محمد نجيب ورأى السفير البريطاني في حواره مع نجيب ضرورة القيام بأجراء انتخابات في السودان بشكل مبكر وهذا يتطلب من بريطانيا ومصر أن تعطي موافقتهما على الدستور الجديد، وقد أجاب محمد نجيب أنه لا يستطيع أن يلزم

(1) محمد نجيب، مصير مصر، ترجمة: مكتبة بغداد للدعاية والإعلان، مطبعة المستقبل، بغداد، د. ت، ص 42؛ مدثر عبد الرحيم، المصدر السابق، ص 185.

(2) في 2 نيسان 1952 عرضت الحكومة البريطانية على الجمعية التشريعية السودانية دستوراً منح بموجبه السودان مجلساً للنواب منتخب (60%) من اعضائه واقترح أن يكون الحاكم العام البريطاني في السودان رئيساً للسودان، إلا أن الحكومة المصرية رفضت لأنه يتناقض مع قرار إلغاء معاهدة عام 1936. للتفاصيل ينظر: أحمد إبراهيم دياب، تطور الحركة الوطنية في السودان 1938-1953، معهد البحوث والدراسات التاريخية، بغداد، 1984، ص 197.

(3) أبو بكر حسن محمد باشا، تأثير مصر على الأوضاع السياسية في السودان 1951-1956، معهد الدراسات القومية والاشتراكية (سابقاً)، الجامعة المستنصرية، 2000، ص 111-112.

(4) جريدة السفير، العدد 2543، 28 أيار 1982م؛ للتفاصيل ينظر: ثورة يوليو والسودان في: مجلة روز اليوسف، العدد 1988، السنة الحادية والأربعون، 18 يوليو/ تموز 1966، ص 25.

حكومته بهذا الأمر قبل التشاور معها، إذ كانت مصر ترغب بتأجيل موضوع الانتخابات السودانية لمدة معينة لحين دراسة نصوص المقترحات البريطانية الواردة في الحكم الذاتي وإعطاء رأيها فيها، بينما رغبت بريطانيا في الإعلان عن قانون الحكم الذاتي في موعده المحدد قبل نهاية عام 1952م تجنباً لفقدان المصادقية مع السودانيين⁽¹⁾.

قدمت الحكومة المصرية فيما بعد مقترحات إلى وفد حزب الأمة السوداني⁽²⁾ في القاهرة في 21 تشرين الأول 1952م، كأساس للتفاوض بينهما ونصت هذه المقترحات على تقرير السودانيين لمصيرهم بحرية تامة، أما بإعلان استقلال السودان بحدوده الجغرافية عن مصر وبريطانيا أو الارتباط مع مصر على أن يسبق ذلك الحكم الذاتي الكامل في السودان فوراً⁽³⁾، أبدى حزب الأمة إرتياحه لهذه المقترحات وعدّها انتصاراً لوجهة نظره وأصبحت بذلك موضع تنفيذ من الحكومة المصرية وقيادة الجيش⁽⁴⁾. كانت الحكومة البريطانية تراقب ما يجري من حوار بين القادة السودانيين والحكومة المصرية ولذلك أصدرت بياناً رسمياً في 31 تشرين الأول 1952 عبرت فيه عن رأيها في المباحثات وجاء في البيان: "إن هناك أدلة على أن مصر غيرت من سياستها نحو السودان، وأنها على استعداد للتعاون مع حكومة المملكة المتحدة للأخذ بيد السودانيين نحو الحكم الذاتي وتقرير المصير..."⁽⁵⁾.

أرادت حكومة الثورة أن تفوت الفرصة على الحكومة البريطانية في التدخل بشؤون السودان، ولذلك أظهرت تساهلها في المباحثات مع الذين يطالبون بالاستقلال عن مصر وكانت تراهن على كسب ود السودانيين بإعطائهم الحكم الذاتي، وأشعارهم بأنهم أحرار في تقرير مصيرهم بدون قيد أو شرط، ورأت أيضاً أن هذا الأسلوب هو الطريقة المثلى لجعل الاستقاليين يميلون للارتباط بمصر، لاعتقادها أنه لا يمكن

(1) وليد حمدي الأعظمي، قضايا عربية في وثائق الخارجية البريطانية، وثيقة رقم FO371 / 96908، مجلة الدستور، العدد 316، 1983، ص58-59.

(2) تأسس هذا الحزب في شباط 1945، وكان شعاره (السودان للسودانيين)، وقد طالب بالتحالف مع بريطانيا، وكان يرعى هذا الحزب عبد الرحمن المهدي زعيم طائفة الأنصار، وعبد الله خليل سكرتيراً له. ينظر: منى حسن عبيد الشمالي، حزب الأمة ودوره في الحياة السياسية السودانية 1945-1989، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2000، ص39.

(3) فيصل عبد الرحمن علي طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري البريطاني بشأن السودان 1936-1959، دار الأمين للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص108-110.

(4) عبد الرحمن المهدي، مذكرات الإمام عبد الرحمن المهدي، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1996، ص104.

(5) جريدة الرأي العام، العدد 2258، الأول من تشرين الثاني 1952.

للسودانيين الاتفاق على من يمثلهم في ظل أجواء التنافس والخلاف بين قادة السودان (1) البارزين (2).

يبدو لنا أنه على الرغم من اختلاف الآراء، والحذر من خطوات حكومة الثورة فإنها سارت قدماً في كسب التيار الاتحادي السوداني الذي يدعو إلى الوحدة مع مصر فضلاً عن التيار الاستقلالي الذي يدعو إلى استقلال السودان عنها، ولم تتح أي فرصة للحكومة البريطانية ليتسنى لها المشاركة في النقاشات حول مستقبل السودان.

(1) وهم علي الميرغني زعيم الطائفة الختمية، وعبد الرحمن المهدي زعيم طائفة الأنصار.

(2) د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، ملفه رقم 311/ 2673، تقارير المفوضية العراقية في القاهرة، 3 تشرين الثاني 1952، وثيقة رقم 85، ص 241.

المبحث الثاني : المفاوضات المصرية البريطانية 1953-1956

- اتفاقية الحكم الذاتي عام 1953:

استمرت الأوضاع في السودان دون أن تشهد أي تقدم على مستوى الوضع السياسي فيما يتعلق بتقرير مصيره على الرغم من المفاوضات المتعددة بين الجانبين المصري والبريطاني والتي تناولت الشأن السوداني على اعتبار أن السودان يخضع لاتفاقية الحكم الذاتي لعام 1899م، ولما انتهت فترة الحكم الذاتي في مصر بعد القضاء على حكم الملك فاروق على يد قادة ثورة 23/تموز/ 1952 أظهر قادة الثورة اهتمامهم بقضية السودان، وتمكن اللواء محمد نجيب رئيس مجلس قيادة الثورة من طمأنة الأحزاب السودانية باحترام تقرير مصير السودان ولم يظهر لهم التمسك بشعار قبل اندلاع الثورة، وأراد بهذا أن يكسب جميع الأطراف السودانية بعيداً عن تأثير الجانب البريطاني⁽¹⁾.

أظهر الجانبان المصري والبريطاني رغبتهما في حل قضية السودان وجرت العديد من المفاوضات توصلت في نهاية المطاف وبناءً على رغبة الأحزاب السودانية إلى وضع اتفاقية سميت باتفاقية السودان تم التوقيع عليها في 10 / كانون الثاني/ 1953 وبعد سلسلة من المشاورات بين الطرفين المصري والسوداني⁽²⁾، ووقعوا أيضاً على وثيقة تضمنت انسحاب السودانين من حكومة السودان البريطانية في الجنوب وسودنه الوظائف أي أتاحه الفرصة للسودانيين للدخول في الوظائف الحكومية وجلاء الجيش المصري والبريطاني من السودان وأن تكون هذه الوثيقة هي أساس الحكم الذاتي⁽³⁾.

وفي 12/ شباط/ 1953 وضعت هذه الوثيقة أمام السفير البريطاني في القاهرة رالف ستيفنسون فسقطت جميع الذرائع البريطانية التي أكدت على رغبة السودانين ببقاء القوات البريطانية على أرض السودان وتوصل الجانبان المصري والبريطاني إلى وضع اتفاقية سميت باتفاقية الحكم الذاتي، وقد وقعت عليها جميع الأحزاب السودانية في التاريخ المذكور آنفاً⁽⁴⁾.

(1) أحمد حمروش، قصة ثورة يوليو، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977، ص13.

(2) أنور حداد، مجتمع عبد الناصر، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1975، ص2.

(3) مدثر عبد الرحيم، المصدر السابق، ص170.

(4) وليد حمدي الأعظمي، قضايا عربية في وثائق الخارجية البريطانية، وثيقة رقم FO 371/102744/56358؛ مجلة الدستور، العدد 331، لندن، 1984، ص58.

ويبدو لنا أن هذه الاتفاقية تعد انتصاراً للإرادة الوطنية لأبناء السودان التي تغلبت على المصالح الشخصية وهذا دليل على نضج وعيهم وشعورهم بالمسؤولية حيال قضية بلادهم المصيرية.

جرى افتتاح أول برلمان سوداني في الأول من كانون الثاني 1954 وتم انتخاب إسماعيل الأزهري في 6/ كانون الثاني/ من العام نفسه رئيساً للوزراء⁽¹⁾، وفي الأول من آذار 1954 وصل اللواء محمد نجيب والوفد المرافق له إلى السودان للمشاركة في افتتاح البرلمان السوداني⁽²⁾، وقد استغل حزب الأمة السوداني الذي كان يرفض الوحدة مع مصر هذه الفرصة للتعبير عن سخطه من الوحدة مع مصر، فنظم تظاهرة حاشدة استقبلت نجيب وهي تهتف: (لا مصري ولا بريطاني السودان للسوداني)⁽³⁾.

كان لهذا الموقف أثر كبير في تاريخ السودان السياسي اللاحق، فقد أظهر للزعماء السودانيين الذين كانوا يرغبون بالوحدة مع مصر مدى خطورة موقفهم على وحدة الشعب السوداني، ومن ثم أنه شكل عنصراً ضاغطاً على هؤلاء الزعماء للحد من اندفاعهم نحو الاتحاد مع مصر، ومن ناحية أخرى فقد أصبح نجاح المعارضة المسلحة في تحقيق أهدافها سابقة جديدة في تاريخ السودان السياسي، لذا لجأ حزب الأمة بعد ذلك إلى محاولة استقطاب الجماهير السودانية إلى جانبه وإقناعه بتوجيهاته السياسية لفرض إرادته على الشعب السوداني⁽⁴⁾. يتضح لنا أن الموقف من زيارة اللواء محمد نجيب قد نبه الحكومة المصرية إلى صعوبة تحقيق الوحدة مع السودان، مما جعلها تعيد حساباتها بشأن مؤازرة التيار الاتحادي في السودان وأن تتبع سياسة جديدة في علاقتها مع هذا البلد.

تزايدت الضغوط المنادية بتحديد مستقبل السودان وقد تجاوب الأزهري مع المواقف السياسية الداعية إلى الاستقلال إذ أعلن خلال زيارته جزيرة مساوي في شمال السودان في شباط 1955 ما نصه: "أن السودان اليوم يحكمه أبناؤه فرئيس الحكومة سوداني والوزراء سودانيين والإداريون سودانيون، ورجال الشرطة والجيش كلهم أصبحوا سودانيين، وبعد أن يمضي منتصف هذا العام تكون السودان قد تمت في الوزارات والمصالح

(1) عمر محمد عبد الله، معركة البرلمان السوداني، مطبعة التحرير، القاهرة، 1954، ص166-167.

(2) المصدر نفسه، ص173.

(3) محمد نجيب، المذكرات، كنت رئيساً لمصر، مطابع الأهرام التجارية، ط3، القاهرة، 1984م، ص292.

(4) جمال عبد الجواد، مصر في السياسة السودانية، مجلة المستقبل العربي، العدد 79، بيروت، أيلول سبتمبر، 1985، ص85.

الحكومية"⁽¹⁾. وظل إسماعيل الأزهرى متحمساً لفكرة استقلال السودان حتى أعلنها صراحة فيما بعد أمام الوفود المشاركة في مؤتمر باندونغ. ثالثاً: السودان ومؤتمر باندونغ عام 1955:

حضر الوفدان المصري والسوداني المؤتمر الذي بدأ جلساته في 8/ نيسان/ 1955⁽²⁾، وقد ترأس الوفد المصري الرئيس جمال عبد الناصر أما الوفد السوداني فكان برئاسة إسماعيل الأزهرى، وأعلن الرئيس المصري قبل بداية المؤتمر رغبته في التعاون مع الوفد السوداني وتنسيق الجهود معاً لكي يكون لهما فاعلية أكثر في المؤتمر، إلا أن الأزهرى لم يستجب لتلك الرغبة فقرر حضور وفده منفرداً لكي يعبر عن وجهة بلاده باستقلالية أمام المجتمع الدولي⁽³⁾.

وظهرت مؤشرات أخرى كانت توحى بعدم التقارب بين الوفدين في أثناء الجلسة إذ كان من المتوقع أن يجلس الوفد السوداني إلى جانب الوفد المصري، ولكنه جلس لوحده واضعاً علم خاص به كتب عليه اسم السودان تعبيراً عن استقلال بلاده عن مصر⁽⁴⁾. أراد الأزهرى كما يبدو لنا في هذا الموقف أن يظهر للعالم بأن السودان دولة ذات سيادة، ولقطع الطريق أمام مصر في تحقيق حلم الوحدة مع السودان.

أعلن الأزهرى في الكلمة التي ألقاها للمؤتمرين رغبة السودان في الاستقلال مع تكوين روابط قوية مع مصر، وكان الأزهرى قد لمس حقيقة شعور السودانيين الذين أعطوه أصواتهم في الانتخابات بعدم رغبتهم في الوحدة مع مصر على اعتبار أنها تفقدهم معالم سودانيتهم، وهم مع حبهم لمصر كانوا يريدون استقلال بلادهم مع روابط أخوية تربطهم بمصر⁽⁵⁾.

وألقي الرئيس جمال عبد الناصر خطاباً أمام الوفد السوداني في القاهرة بعد عودتهم من المؤتمر جاء فيه: "ليس من مصلحة مصر أن تضغط على سوداني واحد لكي يعلن عن رأي لا يؤمن به لأن الاتحاد إذا تحقق والصداقة مفقودة فتكون نتيجته كارثة على البلدين"⁽⁶⁾.

(1) أبو بكر حسن باشا، المصدر السابق، ص 265.

(2) محمد مصطفى هدارة، ثورة 23 يوليو 1925، دراسة تحليلية لطبيعتها وأهدافها وجذورها التاريخية، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة، 1965، ص 135؛ للتفاصيل عن مؤتمر باندونغ ينظر: عبد الله أمام، الناصرية- دراسة بالوثائق في الفكر المصري، القاهرة، د.ت، ص 101-105.

(3) محمد سعيد محسن، عبد الناصر والسودان، شركة ميدلايت المحدودة، لندن، 1992م، ص 26.

(4) حسان ريكان خلف الدليمي، العلاقات المصرية السودانية 1952-1970، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، 2005، ص 108.

(5) حسان ريكان الدليمي، المصدر السابق، ص 109.

(6) المصدر نفسه.

يتضح لنا أن الحكومة المصرية قد شعرت برغبة الشعب السوداني في الاستقلال وحتى الأحزاب السودانية التي كانت تدعو إلى الوحدة قد تغير موقفها من هذه الفكرة ولهذا تركت الخيار إلى الحكومة السودانية في تحديد طبيعة علاقتها مع مصر.

رابعاً: استقلال السودان عام 1956:

اجتمع مجلس النواب السوداني في 16/ آب/ 1955 من أجل تحديد مستقبل السودان السياسي، وألقى إسماعيل الأزهرى رئيس الوزراء خطاباً جاء فيه: "نحن أعضاء مجلس النواب في البرلمان مجتمعاً نعرب عن رغبتنا في الشروع باتخاذ التدابير لتقرير المصير فوراً ونرجو من معاليكم أخطار الحكومتين المتعاقبتين بهذا القرار"⁽¹⁾.

وأضاف الأزهرى قائلاً: "الويل لنا ولأجيالنا المقبلة جميعاً إذا كان بين صفوفنا هنا في هذه القاعة من تسول له نفسه أن يعيث بقداسة هذا اليوم فيسجل على نفسه عار الأبد وعلى بلاده المذلة والهوان"⁽²⁾.

وافق مجلس النواب بالإجماع على ما جاء في خطاب الأزهرى وبعد نهاية الاجتماع خرج أعضاء البرلمان يتقدمهم الأزهرى في موكب وطني أنضم إليه عدد من السودانيين الذين حملوا لافتات تنادي بالاستقلال والجلاء فجاوبوا في وسط العاصمة الخرطوم إذ استقبلهم الناس بالتأييد لهذه الخطوة، وفي الوقت نفسه شهدت مدن سودانية أخرى مثل هذه المظاهرات بعد أن سمعت بأنباء مجلس النواب وإصرارهم على وضع نهاية مشرفة لمستقبل بلادهم⁽³⁾.

تطورت الأحداث في السودان بسرعة بعد استقالة الحاكم العام للسودان السير الكسندر نوكنس هولم (Elxsander N. Hollim) وهو اليوم الذي تم فيه جلاء القوات الأجنبية عن أرض السودان، وقد أبلغ السفير البريطاني في القاهرة اللورد تريفلان (Lord Trifellan) في 13 / تشرين الثاني/ 1955 والرئيس جمال عبد الناصر في 2/ كانون الأول/ من العام نفسه عدم استعداد الحكومة البريطانية لترشيح أحد رعاياها خلفاً له⁽⁴⁾، وهي إشارة واضحة كما يبدو على انتهاء مهمتها القتالية على أرض السودان.

اتفقت الأحزاب والشخصيات السودانية على تأليف لجنة من السودانيين تقوم بأعمال الحاكم البريطاني لحين سن الدستور وانتخاب

(1) محمد عامر بشير، الجلاء والاستقلال، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1975، ص 8-9.

(2) حسان ريكان الدليمي، المصدر السابق، ص 116.

(3) بشير محمد سعيد، الزعيم الأزهرى وعصره، مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة، القاهرة، 1992، ص 246.

(4) حسان ريكان الدليمي، المصدر السابق، ص 121.

رئيس الدولة، وقد أيدت مصر هذه الفكرة⁽¹⁾. وتأسيساً لذلك أعلن الأزهرى في 16/ كانون الأول/ 1955 أمام البرلمان السودانى قائلاً: "إن مهمة حكومتى محددة فى إتمام السودة وقد تمت وإتمام الجلاء وقد تم، ثم فى جمع كلمة السودة حول الاستقلال التام وقد تم هذا أيضاً... ولم يبق إلا إعلانه من داخل هذا المجلس يوم الاثنين القادم التاسع عشر من كانون الأول ديسمبر... وأرجو أن يقدموا عليه ويقرروه بكل شجاعة"⁽²⁾.

شعر القادة السودة أن الموقف المصرى من استقلال السودة كان يتسم بالإيجابية وعليه اجتمع البرلمان السودانى فى 19/ كانون الأول/ 1955 وأعلن موافقته بالإجماع على إعلان استقلال السودة⁽³⁾.

أجريت مباحثات فى القاهرة فى 12/ كانون الأول/ 1955 حضرها عن الجانب المصرى زكريا محى الدين وزير الداخلية وعبد الفتاح حسن نائب وزير الدولة لشؤون السودة، ومن بريطانيا سفيرها فى القاهرة اللورد تريفيان والمستر رالف مري (Mr. Ralef Mery) الوزير المفوض للسفارة البريطانية فى القاهرة، تناولت هذه المباحثات إدخال تعديلات على اتفاقية السودة بما يتفق مع رغبة البرلمان السودانى فى الاستقلال⁽⁴⁾.

وتم فى جلسة هذا البرلمان فى 31/ كانون الأول/ 1955 الاتفاق على مواصفات العلم السودانى، وأجيز دستور السودة المؤقت الذى تحكم به البلاد إلى أن يتم إقرار الدستور الدائم⁽⁵⁾.

وفى الأول من كانون الثانى/ 1956 عقد البرلمان السودانى جلسة تلى فيها رسالتين إحدهما من الرئيس جمال عبد الناصر والأخرى من سلوين لويد وزير الدولة للشؤون الخارجية فى بريطانيا أعلن فيها الاعتراف الكامل باستقلال السودة⁽⁶⁾. وأصدرت الحكومة المصرية إعلاناً فى اليوم نفسه جاء فيه: "استجابة للقرار الذى أصدره البرلمان السودانى فى 19/ ديسمبر/ كانون الأول/ 1955 والذى يطلب فيه من دولتى الحكم

(1) محسن محمد، مصر والسودة- الانفصال بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية، دار الشروق، ط1، بيروت، 1994، ص316-317.

(2) بشير محمد سعيد، المصدر السابق، ص151.

(3) محمد أحمد محبوب، الديمقراطية فى الميزان، دار النهار للنشر، بيروت، 1973، ص85.

(4) حسان ريكان الدليمى، المصدر السابق، ص123.

(5) بشير محمد سعيد، المصدر السابق، ص301.

(6) محمد أحمد محبوب، المصدر السابق، ص177؛ بشير محمد سعيد، المصدر السابق، ص301.

الثنائي أن تعترف باستقلال السودان, فإن مصر تعترف بأن السودان دولة مستقلة من تاريخ أول يناير / كانون الثاني/ 1956" (1).

وفي صباح هذا اليوم أنزل العلمان المصري والبريطاني من واجهة سراي الحاكم العام ورفع العلم السوداني على واجهة القصر الجمهوري إيداناً بإعلان ميلاد الجمهورية السودانية (2), وأصبحت عضواً في جامعة الدول العربية في 19/ كانون الثاني/ من العام 1956 (3).

هكذا حصل السودان على استقلاله التام وما كان هذا ليتحقق لولا تفهم حكومة الثورة في مصر لرغبة أبناء الشعب السوداني في استقلال بلادهم مع الاحتفاظ بأفضل العلاقة مع مصر إذ شعر السودانيون بأن وحدتهم مع مصر قد تفقد السودان هويته كبلد واضح المعالم في إطار وحدة وادي النيل, وتزامنت هذه الرغبة مع المعارضة التي أبدتها الحكومة البريطانية لفكرة الوحدة بين البلدين وذلك لتحقيق أطماعها وفرض إرادتها السياسية والاقتصادية بعيداً عن المنافسة المصرية, فضلاً عن الضغوط التي مارستها الولايات المتحدة الأمريكية على بريطانيا لسحب قواتها من السودان كي تطول يدها في إقامة قاعدة أمريكية في السودان لاستخدامها في تنفيذ مآربها السياسية في المنطقة, وعلينا أن لا ننسى أو نقلل من شأن تنامي الوعي الوطني لقادة السودان الذي جعلهم يشعرون بأن قضية بلادهم تسمو فوق كل الاعتبارات الأخرى سواء كانت شخصية أو قبلية.

(1) رأفت غنيمي الشيخ, التاريخ المعاصر للأمم العربية الإسلامية, دار الثقافة للنشر والتوزيع, القاهرة, 1992م, ص65.

(2) إبراهيم محمد حاج موسى, التجربة الديمقراطية وتطور نظام الحكم في السودان , دار الكتب المصرية, القاهرة, 1970, ص68.

(3) حسن الفكهاني المحامي, موسوعة جمال عبد الناصر, ج2, الدار العربية للموسوعات, القاهرة, 1972, ص20.

الخاتمة

شهدت قضية السودان تدخلاً واضحاً من قبل بريطانيا ومصر قبل اندلاع ثورة يوليو/ تموز 1952 وبعدها , وكان كل طرف يحاول تحقيق أهدافه السياسية على حساب رغبة السودانيين في تقرير مصير بلادهم, فكانت مصر ترغب أن يكون السودان جزءاً لا يتجزأ من مصر, أما بريطانيا فكانت تدعم التيار الذي يدعو إلى الانفصال عن مصر, وهذا الموقف الأخير لا ينم عن موقف بريطانيا المساند لقضية السودان بقدر تعلق الأمر بأن بريطانيا ضد فكرة أي مشروع وحدوي في المنطقة لأن هذا الأمر يتعارض مع تحقيق مصالحها الاستعمارية في المنطقة, ولهذا تمكنت بريطانيا في نهاية المطاف أقناع حتى التيار الذي كان يدعو إلى الوحدة مصر باتجاه الانفصال حتى أعلن إسماعيل الأزهرى عام 1955 صراحةً أمام مؤتمر باندونغ برغبة السودان في الاستقلال عن مصر, ولهذا فقد شعرت مصر بالإحراج أمام المجتمع الدولي مما اضطرها إلى الرضوخ إلى إرادة السودانيين ورغبتهم في الاستقلال عن مصر والذي تحقق في كانون الثاني عام 1956 , على الرغم من أن رغبة الحكومة المصرية كانت تسير قبل هذا باتجاه تحقيق فكرة وحدة وادي النيل.

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق غير المنشورة

1. د.ك. و, ملفات البلاط الملكي, ملفه رقم 311/ 2673 , تقارير المفوضية العراقية في القاهرة, 3 تشرين الثاني 1952, وثيقة رقم 85.

ثانياً : الوثائق المنشورة

2. FO 371/102744/56358 .
3. FO371 / 96908 .
- ثالثاً: الكتب العربية والمعرّبة
4. بشير محمد سعيد, الزعيم الأزهرى وعصره, مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة, القاهرة, 1992.
5. حسن الفكهاني المحامي, موسوعة جمال عبد الناصر, ج2, الدار العربية للموسوعات, القاهرة, 1972.
6. رأفت غنيمي الشيخ, التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية, دار الثقافة للنشر والتوزيع, القاهرة, 1992.
7. عبد الرحمن المهدي, مذكرات الإمام عبد الرحمن المهدي, مركز الدراسات السودانية, القاهرة, 1996.
8. عبد الله أمام, الناصرية- دراسة بالوثائق في الفكر المصري, القاهرة, د.ب.
9. عمر محمد عبد الله, معركة البرلمان السوداني, مطبعة التحرير, القاهرة, 1954.
10. فيصل عبد الرحمن علي طه, الحركة السياسية السودانية والصراع في المصري البريطاني بشأن السودان 1936-1959, دار الأمين للطباعة والنشر, القاهرة, 1998.
11. محسن محمد, مصر والسودان- الانفصال بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية, دار الشروق, ط1, بيروت, 1994.
12. محمد أحمد محبوب, الديمقراطية في الميزان, دار النهار للنشر, بيروت, 1973.
13. محمد سعيد محسن, عبد الناصر والسودان, شركة ميدلايت المحدودة, لندن, 1992.
14. محمد عامر بشير, الجلاء والاستقلال, الدار السودانية للكتب, الخرطوم, 1975.
15. محمد عصام المرشدي, الثورة العربية وأثارها في تطور الشعب ونهضته, دار المعارف, القاهرة, 1958م.
16. محمد مصطفى هدارة, ثورة 23 يوليو 1925, دراسة تحليلية لطبيعتها وأهدافها وجذورها التاريخية, مؤسسة الثقافة الجامعية, القاهرة, 1965.
17. محمد نجيب, المذكرات, كنت رئيساً لمصر, مطابع الأهرام التجارية, ط3, القاهرة, 1984م.

18. محمد نجيب، مصير مصر، ترجمة: مكتبة بغداد للدعاية والإعلان، مطبعة المستقبل، بغداد، د.ت.
19. مدثر عبد الرحيم، الإمبريالية والقومية في السودان – دراسته للتطور الدستوري والسياسي 1899-1956، دار النهار للنشر، بيروت، 1971.
20. أحمد إبراهيم دياب، تطور الحركة الوطنية في السودان 1938-1953، معهد البحوث والدراسات التاريخية، بغداد، 1984.
21. أحمد حمروش، قصة 23 يوليو، ج1، مطبعة المتوسط، بيروت، 1974.
22. أحمد حمروش، قصة ثورة يوليو، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977.
23. انطوني آيدن، مذكراته، ج1، ترجمة: خيري حماد، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
24. أنور حداد، مجتمع عبد الناصر، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1975.
25. إبراهيم محمد حاج موسى، التجربة الديمقراطية وتطور نظام الحكم في السودان، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1970.
- ثالثاً: الأطاريح الجامعية**
26. أبو بكر حسن محمد باشا، تأثير مصر على الأوضاع السياسية في السودان 1951-1956، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) معهد الدراسات القومية والاشتراكية (سابقاً)، الجامعة المستنصرية، 2000.
27. حسان ريكان خلف الدليمي، العلاقات المصرية السودانية 1952-1970، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، 2005.
28. منى حسن عبيد الشمالي، حزب الأمة ودوره في الحياة السياسية السودانية 1945-1989، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2000.
- رابعاً: البحوث المنشورة**
29. جمال عبد الجواد، مصر في السياسة السودانية، مجلة المستقبل العربي، العدد 79، بيروت، أيلول سبتمبر، 1985.
- خامساً: الدوريات والصحف**
30. ثورة يوليو والسودان في: مجلة روز اليوسف، العدد 1988، السنة الحادية والأربعون، 18 يوليو/ تموز 1966.
31. جريدة الرأي العام، العدد 2258، الأول من تشرين الثاني 1952.
32. جريدة السفير، العدد 2543، 28 أيار 1982.

k